دور العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش

د/ يــوسف جمعـــة سلامـــــة

دكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم الدراسات الاسلامية، جامعة الأزهر بغزة

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم مصطلحات العلماء والتعزيز والثقافة والحوار والتعايش، وإبراز مكانة العلماء في الإسلام، والتعرف إلى نماذج عملية تبرز دور العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش، وكان منهجي في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، وكان من نتائج البحث أنَّ الاختلاف سنة كونية ومظهر للتنوع، وليس من ضرر في وجوده؛ لكنّ الضرر كله حينما تتسع مساحات الخلاف بين الناس وتنعدم لغة الحوار والتفاهم، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى جمع الكلمة ووحدة الصف والتعايش الوطني وتلاقي الإرادة، وأنَّ الحوار قيمة حضارية وإنسانية، من الضروري أن يؤمن بها ويمارسها الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء، لتحقيق الاستفادة من إيجابيات الحوار المتعددة، وتزداد أهميته عندما تواجه الأمة ظروفاً معينة وأحوالاً خاصة تمسّ وحدتها وكيانها وتماسكها، وكان من توصيات البحث أن الأولويات التي تقع على عاتق العلماء والدعاة في وقتنا الحاضر تتمثل في ضرورة العمل على توطيد وحدة أبناء الأمة الإسلامية، وترسيخ مفاهيم الحوار والوفاق بين كل الفرقاء

Abstract

This research aims to clarify the concept of scholars' terms, promotion, culture, dialogue and coexistence, highlight the position of scholars in Islam, and identify practical models that highlight the role of scholars in promoting a culture of dialogue and coexistence, My methodology in this research was the descriptive and analytical method . However, the damage is all when the areas of disagreement between people expand and the language of dialogue and understanding is absent, hence the urgent need to gather the word, unity of ranks, national coexistence and convergence of the will, and that dialogue is a civilized and human value. The multiple advantages of dialogue, and its importance increases when the ummah faces certain circumstances and special conditions that affect its unity, entity and cohesion. One of the research recommendations was that the priorities that fall on the shoulders of scholars and preachers in our present time are the necessity of working to consolidate the unity of the children of the Islamic ummah, and to consolidate the concepts of dialogue and harmony between all The teams.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام، وشرح صدورنا للإيمان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد،

فإن التعددية والاختلاف بين الناس في شريعة الإسلام أمرٌ واقعٌ وملموس؛ ولكنها بدلاً من أن تكون مجالاً للخلاف والنزاع ينبغي أن تفتح الطريق أمام وحدة الهدف المشترك، والجهود المشتركة، من أجل الاتفاق والوحدة والاعتصام بدين الله، ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى بوضوح في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[الحُجُرات:١٣].

والتعارف هنا إنما هو حوار بين هذه الشعوب المختلفة؛ فهو اللغة الحضارية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنىً ودلالة، فالحوار ظاهرة إنسانية عالمية، وسنة إلهية، نظراً لتفاوت البشر في عقولهم وأفهامهم وأمزجتهم، كما يقول ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾[هود:١١٨، ١١٩]؛ لذلك يجب على العلماء والدعاة تعزيز ثقافة الحوار والتعايش والتسامح بين الشعوب.

ونتيجة لهذا الاختلاف في الرأي جاء الحوار وسيلة للوصول إلى الحق والصواب، بل وسيلة لوحدة الأمة والتفافها حول منهجها وعقيدتها وكتاب ربها، فتوحيد الله تعالى يقتضي أن توحد الأمة كلمتها، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبياء:٩٢].

إن اليد الطولى في رأب الصدع الواقع بين كافة اتجاهات أبناء الأمة الإسلامية، ومن ثمَّ توحيد مسار الأمة الإسلامية، الرامي إلى تعبيد الناس لرب العالمين من جهة، ومخاطبة غير المسلمين بالطريقة الشرعية المثلى من جهة أخرى إنما يقع على العلماء، الذي هم كواكب الأرض والسماء، والذين هم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ ولذا كان هذا البحث الموسوم بـ (دور العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش- دراسة تأصيلية).

واللهَ أسألُ أن يوفقني إلى استنباط الأحكام والقضايا المتعلقة بتعزيز دور العلماء للتعايش والحوار البنَّاء بين جميع الناس بالطريقة الشرعية الصحيحة، المنسجمة مع تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أولًا: أهمية الموضوع

تبرز أهمية الموضوع من خلال عدة نقاط، أذكر أهمها فيما يأتي:

١. عنوان الدراسة من العناوين العامة التي تهوي إليه أفئدة وعقول جميع أبناء الفطرة السليمة.
٢. موضوع الدراسة يتعلق بواقع الأمة ودور العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش اللذين هما أساس الحياة الاجتماعية الخاصة والعامة.
٣. دقة الدراسة في تسليط الضوء على دور أئمة الدين في غرس الفكرة الأصيلة الصحيحة في طبيعة التعامل مع البشرية بصفة عامة.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع

دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب، أذكر أهمها فيما يأتي:

١. المشاركة في بيان الدور الحقيقي والأساس للعلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش بين أبناء البشرية جمعاء.
٢. مثَّلت أهمية الموضوع سببًا مهمًا لاختياره.
٣. افتقار المكتبة الإسلامية لدراسة علمية محكّمة، تتناول هذا الموضوع، من خلال خطوات بحثية، تلامس جوهره وحقيقته.

ثالثًا: مشكلة الدراسة

يمكن تحديد مشكلة الدراسة، من خلال الإجابة على التساؤل الرئيس، وهو: ما هي طبيعة الدور المطلوب من العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش؟

ويتفرَّع عنه الأسئلة الآتية:

١. ما هو مفهوم العلماء، والتعزيز، والثقافة، والحوار، والتعايش؟
٢. ما هي مكانة العلماء في الإسلام؟
٣. هل ينحصر دور العلماء في القضايا التعبُّدية؟

٤. ما هي النماذج العملية لبيان دور العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش؟

رابعًا: أهداف الدراسة والغاية منها

للدراسة أهداف وغايات، أذكر أهمها فيما يأتي:

١. بيان مفهوم مصطلحات العلماء والتعزيز والثقافة والحوار والتعايش.

٢. إبراز مكانة العلماء في الإسلام.

٣. التعرف إلى نماذج عملية تبرز دور العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش.

٤. ثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية محكَّمة، تتناول دور العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش، من خلال خطوات بحثية، تلامس حقيقته وجوهره.

خامسًا: الدراسات السابقة

بعد البحث والاطلاع على ما كُتِب من رسائل وبحوث، لم نجد أنَّ هذا الموضوع بهذا الكيف قد تناولته أية دراسة من قبل، خاصة أنَّ عامتها تبحث في دور العلماء في تصحيح المفاهيم بشكل عام، مما يميز هذا البحث بأنه يدرس جانب دور العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش مع البشرية جمعاء.

سادسًا: منهج الباحث

اعتمد الباحث في هذه الدراسة المنهجَ الوصفيَّ التحليلي.

سابعًا: هيكلية الدراسة

اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون الهيكلية مشتملة على: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، موزعة على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، ومشكلة الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث، وهيكلية الدراسة.

التمهيد

مصطلحات عنوان البحث

أولًا: تعريف العلماء.

ثانيًا: تعريف ثقافة الحوار والتعايش.

المبحث الأول

مكانة العلماء ودورهم في الإسلام

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** مكانة العلماء في الإسلام.
- **المطلب الثاني:** دور العلماء في الإسلام.

المبحث الثاني

نماذج عملية لدور العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الرسول ﷺ إمام الدعاة.
- **المطلب الثاني:** مواقف عملية لتجاوب الناس مع الدعاة في ضوء السنَّة.
- **المطلب الثالث:** الطريقة المثلى لتعزيز الحوار والتعايش.
- **الخاتمة:** وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد
تعريف مصطلحات عنوان البحث

أولًا: تعريف العلماء

[١] العلماء لغة:

أصل العلم في اللغة ما دلَّ على أثر بالشيء يتميز به عن غيره[١]، فهو من العلامة والأثر[٢]، فالعلم بالشيء هو المعرفة، يقال: علِم الشيء يعلمه علمًا، أي: عرفه، ورجلٌ علَّامةٌ، أي: كثير العلم، والتاء للمبالغة، واستعلمه الخبر فأعلمه إياه[٣].

والعلم واحد العلوم، وأصله مصدر، وهو المعنى الذي يقتضي سكون المعتَقَد إلى ما اعتقده، والعلم بمعنى المعلوم[٤]، وهو نقيض الجهل، وما علمت بالخبر، أي: ما شعرتُ به[٥]، والعلم اليقين، يقال: علم يعلم، إذا تيقَّن، والعلم مرادف للمعرفة، حيث يحصلان عن كسبٍ مسبوقٍ بالجهل في غير حق الله تعالى؛ إذ إنَّ الله تعالى منزَّه عن سابقة الجهل، ولكنَ البعض نبَّه إلى أن المعرفة وحدها هي التي تكون عن سابقة الجهل[٦]، والراجح ما تمَّ ذكره، والله أعلم.

ويتبين مما سبق أن العلم من العلامة والأثر، وأنه مرادف للمعرفة في أحد أقوالِ العلماء، وأنه يفيد اليقين، وأنه نقيض الجهل، وأنه يفيد الشعور، فالعلماء هم العارفون يقينًا بما يحصل به العلم، وانتفاء الجهل.

[٢] العلماء اصطلاحًا:

من أشهر التعريفات الاصطلاحية للعلماء بأنهم: "العالمون بشرع الله، والمتفقهون في الدين، والعاملون بعلمهم على هدى وبصيرة، على سنة رسول الله ﷺ، وسلف الأمة، الداعون إلى الله بالحكمة التي وهبهم الله إياها"[٧].

ثانيًا: تعريف ثقافة الحوار والتعايش

يمكن تعريف مصطلح ثقافة الحوار والتعايش بأنه: "إنتاج خـــِطابي وسلوكي، يستند إلى قيم حية، يؤدي فيه الحوار الدور الأساس"[٨].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة- ابن فارس- ١٠٩/٤.
(٢) انظر: مشارق الأنوار- عياض البستي- ٨٣/٢.
(٣) انظر: مختار الصحاح- الرازي- ص٢١٧.
(٤) انظر: شمس العلوم- نشوان اليمني- ٤٧١٠/٧.
(٥) انظر: العين- الفراهيدي- ١٥٢/٢.
(٦) انظر: المصباح المنير- الفيومي- ٤٢٧/٢، الحدود الأنيقة- السنيكي- ص٦٦.
(٧) العلماء هم الدعاة- د. ناصر العقل- ص٣.
(٨) مقال بعنوان: ثقافة الحوار المفهوم والمصطلح- فهد بن عبد الله البكران- صحيفة الاقتصادية جريدة العرب الاقتصادية الدولية- الأحد: ١٦/ ٢/ ٢٠٠٨م.

المبحث الأول

مكانة العلماء ودورهم في الإسلام

المطلب الأول: مكانة العلماء في الإسلام

إن الدين الإسلامي يشجع على العلم، ويُكَرِّم العلماء، ويرفع درجاتهم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة:١١]، كما وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة تؤيد ذلك، منها قوله ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ)**[1].

وبين الإسلام مكانة العلماء وفضلهم، فوجودهم في الأمة حفظ لدينها وَصَوْنٌ لعزتها وكرامتها، فهم ورثة الأنبياء في أممهم، وأمناؤهم على دينهم، كما جاء في الحديث الشريف: **(...إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)**[2].

وعند دراستنا لسير علمائنا الفضلاء نجد أنهم قد بلغوا من العلم مبلغاً عظيماً؛ حيث كان هدفهم خدمة دينهم، وإرضاء ربهم، ونشر سنة نبيهم ﷺ، فكان التوفيق والنجاح حليفهم.

كما أن كثيراً من هؤلاء العلماء والقرّاء الأفذاذ لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من علم إلا بالجدّ والاجتهاد والكدّ والتعب؛ فطالب العلم المُجِدّ لا يُخَيِّبُ الله مسعاه، ومن كانت بدايته محرقة كانت نهايته مُشرقة.

ومن الواجب علينا أن نقدم لأجيالنا المتعلمة سِيَرَ هؤلاء العلماء؛ ليطّلعوا على تراث أمتهم وإرثها العلمي والحضاري من جانب، وليقفوا على الجهود الهائلة التي بذلها علماء الأمة في تحصيله ونقله من جانب آخر، فيكون لهم من ذلك كله حافز على تقدير هؤلاء العلماء حق التقدير، ووجوب الاقتداء بهم والسير على خطاهم، فهؤلاء العلماء لهم علينا

---

(1) أخرجه الترمذي في جامعه- أبواب العلم- باب إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا فقهه في الدين- ٥/٥٠- حديث رقم (٢٦٨٥)- قال الألباني: صحيح.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه- أبواب العلم- باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة- ٥/٤٨- حديث رقم (٢٦٨٢)- قال الألباني: صحيح.

حق التقدير والاقتداء، فهم حملة كتاب الله الكريم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾[فاطر:٢٩]، أي: يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تكسد ولن تهلك[١]، وهم أهل الله وخاصته، كما جاء في الحديث الشريف: **(إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ)**[٢]، وهم مشاعل النور والهداية، كما جاء في الحديث الشريف: **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ)**[٣]، وهم حملة العلم وورثة الأنبياء، كما جاء في الحديث: **(...إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)**[٤].

وإذا كانت هذه منزلة العلماء في شريعتنا الإسلامية الغرَّاء، فيجدر بنا أن نأسف على فقدهم وموتهم؟، فقد قال ﷺ: **(موت العالم مصيبة لا تجبر، وثلمة لا تسد، ونجم طمس، موت قبيلة أيسر من موت عالم)**[٥]، فَفَقْدُهُم ليس فقداً لرجل صالح فحسب، ولكنه فقد لجزء من ميراث النبوة، حيث اعتبر الإسلام فَقْدَ العلماء ثُلْماً تُصَاب به الأمة؛ لقوله ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)**[٦].

---

(١) انظر: جامع البيان- الطبري- ٤٦٣/٢٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه- أبواب السنّة- باب فضل من تعلم القرآن وعلّمه- ١٤٦/١- حديث رقم (٢١٥)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: إسناده حسن.

(٣) سبق تخريجه في المطلب نفسه.

(٤) سبق تخريجه في المطلب نفسه.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان- فصل في فضل العلم وشرف مقداره- ٢٢٣/٣- حديث رقم (١٥٧٦)- قال الألباني: ضعيف جدًا. (انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة- ٣٩٤/١٠)، وهذا الحديث وإن كان شديد الضعف، إلا أن أخذه قاعدة شرعية ينسجم مع مقاصد الشريعة.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب العلم- باب كيف يقبض العلم- ٣١/١- حديث رقم (١٠٠).

هذه نظرة الإسلام إلى العلماء والدعاة الذين يرشدون الناس إلى الخير والهدى، ويبينون لهم أحكام دينهم الإسلامي الحنيف، كما جاء في الحديث: **(إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ، كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ، أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ)**[1].

وإذا كانت هذه منزلة العلماء والدعاة في شريعتنا الإسلامية الغرّاء، فيجدر بنا أن نقدّرهم ونجلّهم، وأن نسير على دربهم، وقد ورد عن عليّ بن أبي طالب ﷺ:

مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ ... عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ وَلَا تَجْهَلْ بِهِ أَبَدًا ... النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ[2]

المطلب الثاني: دور العلماء في الإسلام

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[الأحزاب:٤٥، ٤٦].

إن الدعوة إلى الله تعالى هي حثّ النّاس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولولا الدعوة لما انتشرت الأديان، ولما ثبتت الأفكار في عقول الناس، فالدعوة حياة وأساس تُدعى إليه الأمم والشعوب، ورسولنا ﷺ هو القدوة الصالحة والأسوة الحسنة، أرسله ربه ﷻ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فالدعوة ميراث النبوة، والنبوة قامت على العلم النافع والعمل الصالح، فالعلماء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وكل من اتبع منهج الرسول ﷺ فهو داعيةٌ إلى الله سبحانه وتعالى؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده- مسند أنس بن مالك ﷺ- ٥٢/٢٠- حديث رقم (١٢٥٩٩)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: إسناده ضعيف جدًّا.
(2) الدر المختار وحاشية ابن عابدين- ابن عابدين- ٤١/١.

فالرسالة الإسلامية العالمية التي حمل لواءها رسولنا ﷺ ستبقى ما بقيت الحياة، وستنتشر أنوارها شرقاً وغرباً، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[الصف:٩]، أي: "حَتَّى يظْهر النَّبِي على الدّين كُله على شرائع الْإِسْلَام كلهَا، فَلم يقبض رَسُول الله، حَتَّى أتمَّ اللَّه ذَلِك لَهُ"(١).

وهنا يبرز بوضوح الدور الريادي الذي يجب أن يقوم به العلماء والدعاة على كافة المستويات؛ للحافظ على الاستقرار والسِّلْم الأهلي للمجتمعات الإسلامية؛ نظراً للمكانة الجليلة التي يحظون بها في مجتمعاتهم، وللأمانة التي يحملونها، فهم عُدُول الأمة، كما قال في حقِّهم رسول الله ﷺ: **(يَحمِلُ هذا العِلْمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدُولُه، يَنْفُون عنه تحريفَ الغالِين، وانْتِحالَ المُبْطِلِين، وتأويلَ الجاهلين)**(٢)، ويتجلى ذلك الدور فيما يأتي:

أولًا: الحرص على هداية الناس إلى طريق الحق والخير

قَالَ رسول الله ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ: **(لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب؟، فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)**(٣)، وحمر النعم "هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه"(٤).

---

(١) تفسير القرآن العزيز- ابن أبي زمنين- ٣٨٥/٤.

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين- ما انتهى إليه مسند عبد الرحمن بن يزيد بن جابر- ٣٤٤/١- حديث رقم (٥٩٩)- قال الألباني: صحيح. (انظر: مشكاة المصابيح- ٨٢/١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم- باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ- ١٨٧٢/٤- حديث رقم (٢٤٠٦).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي- ١٧٨/٨.

ما أجمل الإسلام رسالة الهداية والخير والإصلاح، وما أسمى تعاليمه الحكيمة التي تدعو إلى الرفق واللين في النصح والإرشاد، بطريق الرأفة لا الغلظة، وبأسلوب اللين لا الشدة !، وما أعظم العمل الذي يقوم به دعاة الخير والهدى، حيث يحرصون على هداية الناس والأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والخير، مسترشدين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[النحل:١٢٥].

كما أن دعاة الخير يحظون من الله سبحانه وتعالى بالأجر العظيم والثواب الكبير جزاءً لهم على عملهم الدعوي، وحرصهم على هداية الناس، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[فُصِّلَت:٣٣].

ومن المعلوم أن الله ﷻ قد أمر نبيه الكريم ﷺ في كتابه العزيز أن يتلمس طريق إخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله، وأن يقتدي بهم، ويستفيد من تجاربهم؛ حيث يقول ﷻ مخاطبًا نبيه ﷺ بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[الأنعام:٩٠]، فالله ﷻ أرسل رسوله ﷺ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما قال ربعي بن عامر ﷺ: "اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ. قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ"[1].

ومن الجدير بالذكر أن الرسالة التي جاء بها الرسول محمد ﷺ رسالة عامة، وعموم الرسالة الإسلامية جاءت به آيات وسنن، ومن الملاحظات الجديرة بالذكر أن كل ما نزل يفيد عموم الرسالة كان في العهد المكي.

ولأهمية ذلك نقول: إن العهد المكي كان عهد اختناق الدعوة، وكان الإسلام يعاني من جبروت الوثنيين، فكان القرآن يتنزل بهذه الرسالة ليست لِقُطْرٍ معين؛ بل للبشرية

(1) البداية والنهاية- ابن كثير- ٦٢٢/٩.

كلِّها، ولو أن الآيات التي تتحدث عن عموم الرسالة تنزلت في العهد المدني، أو أواخر أيام الرسالة، لقال بعض الناس: نبيٌ نجح في أن يفرض نفسه على قومه في شبه الجزيرة العربية، فأغراه ذلك على أن يوسع نفوذه؛ لكن والحمد لله فإن عموم الرسالة وعالمية الدعوة تأكدت منذ اللحظات الأولى للدعوة من خلال السور المكيِّة، حيث نجد ذلك واضحًا في آيات القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[القلم:٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان:١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سبأ:٢٨].

وفي الأحاديث الشريفة نقرأ الأحاديث التي تبين أن الإسلام سينتشر في جميع أرجاء المعمورة، فيقول ﷺ: **(لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ)**[١].

إن الداعية الرشيد الحصيف يجب أن يكون حريصًا على هداية الناس، واعيًا بما يدور حوله، مطلعًا على الحضارة وثقافتها، ويجب أن يربط ذلك بفكرته الإسلامية، كما يجب أن يقوده الوعي إلى مزيد من الدراسة لواقع القوم الذين يريد دعوتهم، وأن يكون خبيراً بأسلوب الدعوة والتوجيه، فقد نصح النبي ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما حين أرسلهما إلى اليمن، قائلًا: **(يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا)**[٢].

ثانيًا: جمع شمل الأمة ووحدة كلمتها

إن وحدة المسلمين وتضامنهم عمل يمثل قطب الرحى، ويمثل طوق النجاة لسفينة المسلمين، فالمسلمون لن ترتفع لهم راية، ولن يستقيم لهم أمر، ما لم يكونوا متضامنين

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده- مسند الشاميين- حديث تميم الداري- ١٥٥/٢٨- حديث رقم (١٦٩٥٧)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجهاد والسير- باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير- ١٣٥٩/٣- حديث رقم (١٧٣٣).

مجتمعين على كلمة واحدة، فقد جاء الرسول ﷺ على أمة ممزقة مبعثرة فجمعها ووحَّد كلمتها، ثم جمع العرب على اختلاف أوطانهم وجعلهم أمة واحدة بعد أن كانت الحروب مستعرة بينهم، وصهرهم جميعًا في بوتقة الإسلام، وجمع بين أبي بكر القرشي الأبيض وبلال الحبشي الأسود، وصهيب الرومي وسلمان الفارسي، جعلهم إخوة متحابين بعد أن كانوا أعداء متخاصمين، وأزال ما بين الأوس والخزرج من خلاف، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وأصبح المسلمون -بفضل الله- كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، والله ﷻ يرشد إلى ذلك بقوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[المؤمنون:٥٢]، وفي آية أخرى يقول ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٩٢].

وقد حصل مرة بعد وفاة الرسول ﷺ أن نشأت بين بعض الصحابة ﷺ مشادة كلامية سمع منها ارتفاع الصوت، فأخرجت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها يدها من الحجرة الطاهرة، وأخذت تقول لهم: إن نبيكم يكره التفرق، ثم تلت عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[الأنعام:١٥٩]، وتعني أن الخصام أساس الفرقة، والفرقة أساس البلاء، ولله دَرّ القائل:

كونوا جميعًا يا بنيَّ إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى القداح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت أفرادا[1]

إن أعداء الأمة لن يسمحوا لها بأن تبقى صفاً واحداً؛ لأنهم يعلمون أنَّ سرَّ قوة الأمة في وحدتها، وأن ضعفها في فرقتها وتخاذلها، فهم يعملون على نشر الحقد والخلاف بينهم، كما حدث من (شاس بن قيس) اليهودي الذي غاظه أن يرى الأوس والخزرج إخوة متحابين[2]، هؤلاء الذين طالما تحاربوا، وسفكت منهم الدماء، وقامت بينهم المعارك، أن يراهم مجتمعين على عقيدة واحدة، فجلس بينهم بخبث ودهاء، يذكرهم بأيام الجاهلية،

(1) ديوان الطغرائي- مطبعة الجوائب قسطنطينية- سنة ١٣٠٠- ص٧١.
(2) انظر: العجاب في بيان الأسباب- ابن حجر العسقلاني- ٧٢١/٢.

وينشد بعض الأشعار التي قالها الأوس يوم انتصارهم، فيرد عليهم الخزرج: بأننا انتصرنا يوم كذا، وقال شاعرنا كذا، وما زال يذكي هذه النار، حتى تأججت، ونادى الرجال من الأوس: يا للسلاح، والرجال من الخزرج: يا للسلاح، يا للأوس، يا للخزرج، وسمع النبي – صلى الله عليه وسلم– بذلك، فأقبل عليهم يقول لهم: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!" وتلا عليهم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾[آل عمران:١٠٠]، فإن تطيعوهم "بحسن اعتقادكم فيهم؛ لكونهم أهل الكتاب يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ، أي بالتوحيد والنبوة كافِرِينَ؛ لأنهم يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله"[1]، بعد وحدتكم متفرقين، سمَّى الله الوحدة إيماناً والتفرق كفرًا، فندموا واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح.

وقد ذكر أستاذنا الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله– أن المصلين اختلفوا في صلاة التراويح، هل هي ثماني ركعات أم عشرون ركعة؟، فقال بعضهم: إنها ثماني ركعات، وقال آخرون: إنها عشرون ركعة، وتعصب كلّ فريق لرأيه، وكادت أن تحدث فتنه، ثم اتفق الجميع على أن يستفتوا عالمًا في هذه القضية فسألوه عن رأيه في الأمر، فنظر الشيخ بذكائه فعرف ما في نفوسهم، وهو أن كل طرف يريد كلمة منه، فقال الشيخ: الرأي أن يُغْلَق المسجد بعد صلاة العشاء (الفريضة)، فلا تُصَلَّى فيه تراويح ألبتة، قالوا: ولماذا أيها الشيخ ؟! قال: لأن صلاة التراويح نافلة (سنة)، ووحدة المسلمين فريضة، فلا بارك الله في سنة هدمت فريضة[2].

لذلك يجب على العلماء والدعاة حثّ أبناء الأمة على جمع شملهم ورص صفوفهم وتوحيد كلمتهم، لأن أقوى عامل على تقدم الأمة ونهوضها، وخير سبيل لعلوّ شأنها ورفع منارها وبلوغها ذروة المجد والشرف، هو اتحاد القلوب وتضافر الجهد وتوحيد الصف وجمع الكلمة، فالاتحاد وجمع الشمل ووحدة الكلمة أساس كل خير وسعادة، وعماد الرُقيّ والسيادة، فكم به عمرت بلاد وسادت عباد، وما نال قوم نصيبهم من رغد العيش والهناء،

(1) محاسن التأويل- القاسمي- ٣٦٨/٣.
(2) انظر: خلق المسلم- ص١٠.

ولا فاز شعب من الشعوب بحظه الوافر من الراحة وسَلِمَ من العناء، إلا بالتآلف والتناصر والتعاون والتضامن، وما حظيتْ أمة بما ترتجيه إلا بجمع شملها وتوحيد صفوفها وسعيها الدائب إلى ما يجلب لها الخير ويحقق لها الرخاء.

فديننا الإسلامي يرشدنا إلى أهمية الاتحاد واجتماع الكلمة، من خلال النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسير الصحابة والتابعين.

وعندما ننظر إلى واقع المسلمين اليوم، فإننا نرى الاختلاف والتنازع والتطاحن فيما بينهم، عجيب أمر المسلمين !! إلههم واحد ورسولهم واحد وقرآنهم واحد، ومع ذلك فهم دول ممزقة وشعوب متفرقة وفرق متناحرة وجماعات متصارعة ومذاهب مختلفة ، مع أن الإسلام يدعوهم إلى الوحدة في صراحة واضحة، لا تحتاج إلى تفسير، ولا إلى تأويل، ولا إلى اجتهاد، كما في قوله ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران:١٠٣].

وقال الشاعر:

بحثتُ عن الأديانِ في الأرض كلِّها ... وجبتُ بلادَ اللهِ غرباً ومشرقـــاً

فلم أرَ كالإسلامِ أَدْعَى لأُلْفَـــــةٍ ... ولا مثـلَ أهليـهِ أشدّ تَفَرُّقـــا[1]

فالواجب على المسلمين أن يكونوا إخوة متحابين، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، كما ذكر العلماء: نتعاون فيما أمر الله تعالى أن نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما أذن الله لنا أن نختلف فيه[2].

ثالثًا: غرس حب الوطن والتعايش فيه

انطلاقاً من قول رسولنا ﷺ وهو يخاطب وطنه مكة المكرمة: **(وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)**[3]، فقد أحبَّ

(1) موقع صيد الفوائد الإلكتروني- كيف نختلف- سلمان بن فهد العودة.
(2) انظر: واقع المسلمين أمراض وعلاج- د. عدنان النحوي- ص٨.
(3) أخرجه الترمذي في جامعه- أبواب المناقب- باب في فضل مكة- ٥/٧٢٢- حديث رقم (٣٩٢٥)- قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

المسلمون أوطانهم؛ اقتداءً بنبيهم محمد ﷺ، الذي علَّم الدنيا كلَّها حب الأوطان والأماكن المباركة والوفاء لمسقط الرأس، فقد علَّم ﷺ البشرية كلَّها حب الأوطان، حيث يظهر حبه ﷺ لوطنه مكة، وحرصه على البقاء فيها لا يبرحها، لولا أنه ﷺ أُخرج منها مضطراً مرغماً.

فما من الوطن بُدٌّ، وما للإنسان عنه من منصرف أو غنىً، في ظلِّه يأتلف الناس، وعلى أرضه يعيش الفكر، وفي حماه تتجمع أسباب الحياة، وما من ريب أن ائتلاف الناس هو الأصل، وسيادة العقل فيهم هي الغاية، ووفرة أسباب العيش هو القصد مما يسعون له ويكدحون؛ ولكن الوطن هو المهد الذي يترعرع فيه ذلك كله، كالأرض هي المنبت الذي لا بُدَّ منه للقوت والزرع والثمار.

وهل ينسى الإنسان وطنه؟ وهل ينسى الأرض التي وُلد على ثراها، وأكل من خيرها، وشرب من مائها، واستظل بظلِّها؟، وما أحسن ما قال بلال بن رباح ﷺ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[1].

إن محبة الوطن دليل أصالة المرء ونبله، فإذا أردتَ أن تعرف الرجل الأصيل، فانظر كيف تحنُّنه إلى أوطانه، وتشوُّقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه؛ لأن ذلك دليل الوفاء، وأصالة الآباء، وقد كان العرب يتمدحون بالاعتزاز بالوطن ويرونه من مفاخرهم الكبيرة، كما قال ابن الرومي:

ولي وَطَنٌ آليتُ ألا أبيعَهُ ... وألاّ أرى غيري له الدهرَ مالكا

عهدْتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً ... كنعمةِ قومٍ أصبحوا في ظِلالكا[2]

كما أن حب الوطن من الإيمان، والعيش فيه مع قسوة الحياة يُعَدُّ نعمة عظيمة لا يعرفها إلا من فقدها.

ومن المعلوم أن من دافع عن وطنه فهو شهيد، ومن قُتل دون وطنه فهو شهيد، كما جاء في الحديث: عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ**

(1) أخرجه أحمد في مسنده- مسند النساء- مسند الصدِّيقة عائشة بنت الصدِّيق رضي الله عنها- ٧٩/٤١- حديث رقم (٢٤٥٣٢)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: إسناده صحيح.

(2) ديوان ابن الرومي- ابن الرومي- ص٣٢٢٣.

فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيد، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)[1].

كما أن من تولى وأعرض عن الدفاع عن وطنه فقد ارتكب إثمًا عظيمًا؛ لما جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ)(٢).

لذلك يجب على العلماء والدعاة أن يغرسوا حب الأوطان في نفوس أبناء الأمة من خلال تنمية صدق الانتماء والوفاء للوطن، والسعي الحثيث لبنائه وعمارته؛ لأن فيه المعاش وبه المصالح، والحرص على أمنه واستقراره، وأن يكون الجميع عيوناً ساهرة على سلامته وحمايته، وعدم السماح لأي مغرض أن يبث فيه سمومه وشره وبلاءه؛ لأنه لا يريد بمجتمعنا ولا بوطننا خيراً، فالأمة الإسلامية في هذه الأيام تمر في ظروف صعبة قاسية من تاريخها، فقد تكالب عليها أعداؤها وأحاطوا بها من كل جانب، لذلك فإن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة اليوم إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، وتطبيق أوامره وتعاليمه ، واتخاذ الخطوات العملية الجادة لتنفيذ الوحدة والمحافظة على البلاد الإسلامية.

رابعًا: الاهتمام بشريحة الشباب

الشباب في كل أمة هم قلبها النابض، ودمها المتدفق، وعصب حياتها، وسرّ نهضتها، وعنوان تقدمها، وأمل مستقبلها، وبحر علمها الفياض؛ فهم أصحاب الهمم العالية والنفوس الطاهرة الزكية؛ لذلك فقد أولى الإسلام عناية كبيرة لشريحة الشباب، حيث كانوا أسرع شرائح المجتمع استجابة للدعوة الإسلامية، فقد دخلوا – والحمد لله– في دين الله أفواجًا.

ومن المعلوم أن الشباب هم أعظم ثروة في الأمة، فثروة الأمم ليست في الذهب الأبيض ولا في الذهب الأسود، وإنما في الإنسان فهو أغلى من كل شيء، وأعظم ما يكون الإنسان في مرحلة الشباب؛ لأن مرحلة الشباب هي مرحلة القوة والعطاء، فالشباب

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه- أبواب الديات- باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد- ٣٠/٤- حديث رقم (١٤٢١)- قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب بيان الكبائر وأكبرها- ٩٢/١- حديث رقم (٨٩).

قوة بين ضعفين، ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[الروم:٥٤].

لذلك فقد حرص نبينا ﷺ على العناية بالشباب وإعدادهم إعداداً جيداً، فقال عليه السلام: **(إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَيَعْجَبُ مِنْ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ)**[1]، أي: "مَيْلٌ إِلَى الهَوَى، وَهِيَ الْمَرَّةُ مِنْهُ"[2].

كما وبين مكانة الشاب الملتزم بطاعة الله وعبادته، فقال ﷺ: **(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: وذكر منها: شابٌّ نَشَأَ في عِبادة الله...)**[3].

كما دعا ﷺ الشباب لاغتنام الفرص؛ لتكوين شخصيتهم في شتى المجالات، فقال عليه السلام: **(اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرِمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ)**[4].

كما بيَّن ﷺ أهمية هذه المرحلة، وما يترتب عليها من تبعات ومحاسبة ومسؤولية أمام رب العالمين؛ فقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكتسبه؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟)**[5].

إننا نعيش في وقتٍ أحوج ما نكون فيه إلى الشباب، فالقرآن الكريم قصَّ علينا قصصاً كثيرة عن الشباب، مثل: أهل الكهف، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا يوسف، وسيدنا موسى وغيرهم من الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، كما حدثنا عن الشباب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ حتى بلَّغ دعوته، ونصر الله بهم الدين، وأَيَّدَ بهم الحق، فالشباب هم الذين حملوا راية الإسلام عالية خفاقة ورفعوا لواء الحق، حيث تولوا الدفاع

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده- مسند الشاميين- حديث عقبة بن عامر الجهني- ٢٨/٦٠٠- حديث رقم (١٧٣٧٠)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: حسن لغيره.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر- ابن الأثير- ٣/١١.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأذان- باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة- ١/١٣٣- حديث رقم (٦٦٠).

(4) أخرجه الحاكم في مستدركه- كتاب الرقاق- ٤/٣٤١- حديث رقم (٧٨٤٦)- قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(5) أخرجه الترمذي في جامعه- أبواب صفة القيامة والرقاق والورع- باب في القيامة- ٤/٦١٢- حديث رقم (٢٤١٦)- قال الألباني: حسن.

عن دولة الإسلام الفتية أمثال: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وأبي عبيدة، ومصعب بن عمير ، وسعد أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وخالد بن الوليد ... وغيرهم كثير من الصحابة الكرام ﷺ.

فالشباب هم السواعد التي تفجر الأرض خيراً؛ لتصب في حقل البشرية الخصيب، وإذا كان الشباب مخلصاً مؤمناً فإنه يحقق لنفسه الفوز في الدنيا والفلاح في الآخرة، ومن هنا كان للشباب دور الريادة والقيادة في تاريخ الإسلام المشرق، ففي ميدان الفتوحات كان لهم السبق، فعندما ننظر إلى الرجال المقاتلين نرى الثلاثة الذين قتلوا في غزوة مؤتة: زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن رواحة ... كانوا شباباً تقريباً في الثلاثين من أعمارهم.

أما من الناحية العلمية فعندما ننظر إلى الرجال الذين اعْتُبروا أئمة لهذه الأمة نرى أنهم كانوا من الشباب، فعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – الذي غار منه بعض كبار السن؛ لأن عمر – رضي الله عنه – كان يجعله مع مشيخة الأمة في استشارته والأخذ برأيه، كان شاباً، وكذلك عبد الله بن الزبير، وعبدالله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، فالعبادلة الأربعة الذين ورثوا الدين كانوا شباباً، وغيرهم كثير من الأئمة والعلماء ﷺ.

المبحث الثاني

نماذج عملية لدور العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش

إمام الدعاة.ﷺالمطلب الأول: الرسول

أرسل الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ عربي النسب واللسان، إنساني الدعوة، عالميّ الدين، برسالة هي خاتمة الرسالات الربّانية، والجامعة لشرائع الله للناس جميعاً، والتي تضمن مصالحهم وسعادتهم، وقد تكفّل الله ﷻ لهذه الرسالة بالحفظ والتأييد، وأنزل لها كتابًا مبينًا غير ذي عوج، وهو القرآن الكريم.

ومن المعلوم أن رسولنا ﷺ هو إمام الدعاة كما وصفه ربه ﷻ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[الأحزاب:٤٥]، فهو ﷺ البشير قبل النذير، فهذا النبي الكريم كان يغتنم كل مناسبة لتبشير الناس وترغيبهم في عفو الله ورحمته، وإظهار فضله وكرمه؛ امتثالاً لقوله ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[النحل:١٢٥].

وهذه بعض النماذج والمواقف العملية من سيرته ﷺ:

أولًا: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ

عَنْ أَنَسِ بن مالك ﷺ **(أَنَّ غُلامًا يَهُودِيًّا كَانَ يَضَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَضُوءَهُ وَيُنَاوِلُهُ نَعْلَيْهِ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَأَبُوهُ قَاعِدٌ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: يَا فُلانُ قُلْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ فَسَكَتَ أَبُوهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ أَبُوهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ الْغُلامُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ بِي مِن النَّارِ)**[1].

([1]) أخرجه أحمد في مسنده- مسند المكثرين من الصحابة- مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه- ١٨٧/٢٠- حديث رقم (١٢٧٩٣)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: حديث صحيح.

وعند دراستنا للحديث السابق نتعرف على مدى حرص نبينا ﷺ على دعوة هذا الغلام إلى الإسلام رغم مرضه، فهذا درس لنا جميعاً بوجوب الحرص على هداية الناس في جميع الأوقات.

ثانيًا: أأطبق عليهم الأخشبين

عن عروة أنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ **(أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)**[1].

من المعلوم أن رسولنا ﷺ قد أرسى مبدأ الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فها هو ﷺ يذهب إلى الطائف لعله يجد الأنيس والنصير، فسبوه وشتموه ورجموه، فجاءه الملك يعرض عليه أن يطبق عليهم الأخشبين، فقال ﷺ: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله، ولم يشتمهم ولم يلعنهم، بل دعا الله أن يهديهم، وفعلا استجاب الله دعاءه ، وخرج من صُلْب أبي جهل – عدو الله اللدود – الصحابي الجليل عكرمة، وخرج من صُلب أمية بن خلف – الكافر– الصحابي الجليل صفوان ، وخرج من صُلب الوليد بن المغيرة – الكافر – سيف الله خالد.

ثالثًا: ما رأيتُ معلماً أحسن تعليمًا منه ﷺ

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ :**(بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَا**

(1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب بدء الخلق- باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء...- ١١٥/٤- حديث رقم (٣٢٣١).

ثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلا ضَرَبَنِي وَلا شَتَمَنِي، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ، لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)[1].

لذلك يجب على العلماء والدعاة أن يكونوا حريصين كل الحرص على هداية الناس والأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والخير، وألاّ يكونوا عوناً للشيطان عليهم، فالواجب عليهم تعليم الناس ما يحتاجون إليه من الكتاب والسنة، وإسداء النصيحة للمسلمين، وتوجيه الناس للحق وتثبيتهم عليه، لاسيّما عند نزول الفتن وحلول النوازل، وضرورة إفتاء الناس وبيان أحكام الشريعة لهم فيما يشكل عليهم من مسائل في حياتهم، وعلاج المشكلات للوصول للحقِّ والصَّواب، خصوصاً إذا كانت تتعلق بلعن البشر وقذفهم بالكفر، فالمؤمن ليس بطعان ولا لعّان، ولا فاحش ولا ما أجمل الإسلام وما أسمى تعاليمه الحكيمة التي تدعو إلى الرفق واللين في النصح والإرشاد، بطريق الرأفة لا الغلظة، وبأسلوب اللين لا الشدة!، ولا عجب، فهذا أدبٌ أدّب الله به رسوله الكريم ﷺ وخاطبه بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران:١٥٩]، وعلّمه الرسول ﷺ لأصحابه ﷺ، ومن الجدير بالذكر أن الرفق هو دأب الأنبياء، فقد أرسل الله موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام إلى فرعون، فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه:٤٤]، ولو أن المسلمين تمسكوا بهذا الخلق الرفيع –من الرفق في الدعوة ، وحسن النصح والإرشاد – لعاشوا سعداء.

([1]) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب تحريم الكلام في الصلاة...- ٣٨١/١- حديث رقم (٥٣٧).

المطلب الثاني: مواقف عملية لتجاوب الناس مع الدعاة في ضوء السنة

من المعلوم أن ديننا الإسلامي الحنيف لا يحارب الشهوة أو الغرائز؛ لكنه يعمل على تهذيبها ضمن الأطر الشرعية، فقد حرم الإسلام الزنا وأوجد البديل وهو الزواج، فهذا رسول الله ﷺ يخاطب الشباب قائلاً: **(يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)**[1].

وقد عالج ﷺ بعض الحالات الشاذة هنا وهناك بحكمته المعهودة، كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: **إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: (ادْنُهْ)، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: (أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟)، قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟)، قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ) قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟)، قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟)، قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟)، قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ)، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: (اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ)، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ**[2].

لذلك أوجب الإسلام أن نرفق بالشباب والفتيان، وأن نحسن توجيههم إلى طريق الخير والرشاد، وألا نكون عوناً للشيطان عليهم، بل أوجب الإسلام أن نحببهم في ديننا الإسلامي، وأن نرغبهم في المساجد، وأن نشجعهم على الأخلاق الفاضلة، فحفظ النسل من أهم ما دعا إليه ديننا الإسلامي الحنيف، حيث اتفق علماء أصول الفقه على ضرورة صيانة الأركان الضرورية للحياة البشرية، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال ، فقد ذكر الإمام الغزالي أن حرمة الضرورات الخمس لم تُبَح في ملة قط[3]، ومن الجدير

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب النكاح- باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج...- ٣/٧- حديث رقم (٥٠٦٥).

(2) أخرجه أحمد في مسنده- مسند الأنصار- حديث أبي أمامة الباهلي...- ٥٤٥/٣٦- حديث رقم (٢٢٢١١)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: إسناده صحيح.

(3) انظر: المستصفى- ص٣٢.

بالذكر أن ديننا الإسلامي الحنيف يريد مجتمعاً متماسكاً، مبنيًا على العلاقات المشروعة والأخلاق الفاضلة بين أبنائه، وهذا ما تتمتع به المجتمعات الإسلامية والحمد لله، فعنوانها العفة والطهارة والنقاء.

في هذا الموقف النبوي تعليم للدعاة بوجوب الرفق بالمتعلمين، وضرورة مخاطبتهم على قدر عقولهم، فصفة الرفق من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها الدعاة؛ كونها من أهم العوامل في استجابة المخاطَب لما يدعو إليه الداعية، حيث يجد الرفق واللين في خطابه وفعله فيستجيب له.

هذا هو اللين و الرحمة في دعوته ﷺ وكذا دعوة كل نبي؛ فقد أرسل الله موسى وهارون – عليهما الصلاة والسلام– إلى فرعون، فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]،

يكشف رسولنا ﷺ عن عظمة الدين الإسلامي الحنيف؛ فيصفه بأنه دين متين، يحمل في ذاته، عناصر الخلود والبقاء، ويوصي أتباعه بأن يوغلوا في هذا الدين برفق، فذلك أعون على استقامة النهج وبلوغ الغاية، فيقول ﷺ: **(إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُكَرِّهْ عِبَادَةَ اللهِ إِلَى عِبَادِهِ فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا يَقْطَعُ سَفَرًا وَلَا يَسْتَبْقِي ظَهْرًا)**[1].

لذلك أوجب الإسلام على العلماء والدعاة أن يتواصلوا مع شريحة الشباب لتوعيتهم وتعليمهم رسالة الإسلام الحقيقية بكلّ شفافية ووضوح، حتى يكونوا مُحَصَّنين من كل فكر دخيل هدفه إسقاط هويتهم الإسلامية وغرس الفكر المنحرف في عقولهم؛ لأن أعداء الأمة يسعون بكل الطرق لاختراق عقول الشباب للنيل من رسالة الإسلام السمحة والتشكيك في العقيدة الإسلامية، وتشويه صورة الدين الإسلامي في عقولهم.

فالشباب قد يُخطئ وقد يحدث عنده تصور خاطئ؛ لذلك ينبغي أن يعالج العلماء والدعاة قضايا الشباب بالحكمة والبصيرة فلا ينفروا منهم، كما يجب عليهم أن تتسع صدورهم لاستفسارات الشباب وأسئلتهم، من خلال الرد على استفساراتهم وتوعيتهم بأمور

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان- كتاب الصيام- القصد في العبادة- ٣٩٤/٥- حديث رقم (٣٦٠٢)- قال البيهقي: الصحيح أنه مرسل.

دينهم؛ ليميزوا الغثّ من السمين، وأن يبذلوا قصارى جهدهم في ألا يتسلل الفكر المتطرف إلى عقول الشباب؛ لأن ظاهرة الغلو والتطرف تفتك بهؤلاء الشباب وتحولهم إلى معاول هدم لدينهم ووطنهم، فبالعلم ترتقي الأمم، وبالعلم يحيا الإنسان، وبالعلم تتطور الشعوب، وبالعلم ينتصر الحقّ على الباطل، وبالعلم ينتصر المظلوم على الظالم، لأن العلم نور، والله نور السموات والأرض.

ومن الجدير بالذكر أن من شباب اليوم سيخرج علماء الغد، ومن شباب اليوم سيخرج قادة ورجال الغد، ونحن بحاجة إلى الشاب الذي يكون مخلصاً لدينه حريصاً على عمله، وفياً لوطنه وأمته.

المطلب الثالث: الطريقة المثلى لتعزيز ثقافة الحوار والتعايش

أسس الإسلام منهجاً متكاملاً للتعامل بين الشعوب والحضارات المختلفة، حيث قرر اختلاف الناس والأجناس؛ فقد قرر القرآن الكريم أن الاختلاف بين الناس سنة ربانية جُبلوا عليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود:١١٨، ١١٩].

قال السعدي رحمه الله: "فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به، والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم، سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي، وأما من عداهم، فهم مخذولون موكولون إلى أنفسهم، وقوله: (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)، أي: اقتضت حكمته، أنه خلقهم؛ ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفقون والمختلفون، والفريق الذين هدى الله، والفريق الذين حقت عليهم الضلالة؛ ليتبين للعباد، عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر، ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء"[1].

كما ربط المسلمين مع سائر البشر على اختلاف أجناسهم وانتماءاتهم الحضارية برباط من الأخوة الإنسانية النابعة من وحدة الأصل البشري، وألزمهم

(1) تيسير الكريم الرحمن- ص٣٩٢.

بالتعاون والتعايش والتعارف مع غيرهم، ونشر الخير بين الجميع ومع الجميع بصرف النظر عن دينه أو جنسه أو لونه، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[الحُجُرات:١٣]، فهذا النداء الرباني (يَا أَيُّهَا النَّاسُ)؛ ليؤكد بأن التعارف بين الناس جميعاً هو سبيل العقلاء، وهو المنهج الأسلم والأقصر لتحقيق الأفضل للجميع، ومن المعلوم أن الحوار بين الثقافات والحضارات واجب ديني وضرورة إنسانية، فما دامت هناك حياة وأحياء، فلا بدَّ أن يكون هناك حوار فيما بينهم؛ إذ لا يستطيع إنسان أن يعيش في عزلة عن غيره، وإنما هو في حاجة إلى غيره في بيعه وشرائه، في أخذه وعطائه، في بيان فكره وآرائه.

إن رسالة الإسلام ودعوته رسالة عالمية لا تختص بجنس أو لون أو عرق، ولا بلد بعينه، فقد بعث الله محمدًا ﷺ رسولاً للعالمين، ولم يبعثه لقومه العرب من دون غيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[سبأ:٢٨]، والخطاب القرآني يتوجه في الكثير من آياته إلى البشر جميعًا؛ ليؤكد على الإخاء الإنساني، فالإسلام يفرض التواد والتعارف والعدل مع المختلفين معه في الدين، طالما هم يسالمون المسلمين، ويعيشون معهم في جوار طيب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الممتحنة:٨، ٩].

ومن المعلوم أن ديننا الإسلامي دعا المسلمين إلى مجادلة الآخرين وحوارهم بالأدب والحسنى، كما في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[النحل:١٢٥]، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ

﴿مِنْهُمْ﴾[العنكبوت:٤٦]، والملاحظ أن القرآن الكريم لم يرتضِ للمسلمين المنهج الحسن في الحوار، بل المنهج الأحسن، كما طالب المسلمين أن يكون ذلك منهجهم في حوارهم وحديثهم كله مع الآخر، يقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[الإسراء:٥٣].

وعندما نتصفح كتب التاريخ؛ فإنّنا نجد صفحات مشرقة من التسامح الإسلامي مع أهل الديانات الأخرى، وقد تجلى ذلك في أبهى صوره في العهدة العمرية التي وقعها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ مع بطريرك الروم صفرونيوس في السنة الخامسة عشرة للهجرة، والتي تُمثّل لوحة فنية في التسامح الإسلامي الذي لا نظير له في التاريخ، التسامح بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين الحبيبة، هذه العلاقة الطيبة التي ما زالت وستبقى -إن شاء الله-، ومن المعلوم أن المسلمين والمسيحيّين في فلسطين يعيشون منذ قرون عديدة، آمالهم وآلامهم واحدة، حيث إن شعبنا -والحمد لله- شعب واحد فوق هذه الأرض الطيبة المباركة بمسلميه ومسيحيّيه.

أهمية الحوار:

أما أهمية الحوار فتتجلى في أنه ما دامت هناك حياة وأحياء، فلا بُدَّ أن يكون هناك حوار فيما بينهم؛ إذ لا يستطيع إنسان أن يعيش في عزلة عن غيره، وإنما هو في حاجة إلى غيره في بيعه وفي شرائه، في أخذه وفي عطائه، في بيان فكره وآرائه.

فالحياة من مستلزماتها الأساسية: الحوار والنقاش والجدال والخلاف بين الأفراد، وبين الجماعات، وبين الدول، وبين الشعوب.

وقد أشار القرآن الكريم في كثير من آياته، إلى أن الحوار بين الناس، من المقاصد الأساسية التي لا غنى لهم عنها في حياتهم، ومن هذه الآيات قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجُرات:١٣].

ومما يدل دلالة واضحة على أهمية الحوار أنك تقرآ القرآن الكريم، فترى على رأس الأساليب الحكيمة والبليغة التي استعملها القرآن الكريم لإحقاق الحق، وإبطال

الباطل، أسلوب الحوار والجدال والمناقشة العقلية، التي تجعل كل ذي عقل سليم، يؤمن إيماناً راسخاً، بأن لهذا الكون إلهًا واحدًا قادرًا، عليمًا حكيمًا، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤]، ولا بُدّ أن نعرف بأنه لا حوار بدون تكافؤ، ولا تكافؤ بدون تأهيل، ولا تأهيل إلا بالإيمان والعلم، فكم من كافر أسلم بسبب الحوار، وكم من عاصٍ معتد اهتدى واستقام على الجادة بسبب الحوار، فمن ذلك: الحوار الذي كان سببًا في إسلام عمر ﷺ، وحوار ابن عباس رضي الله عنهما الذي كان سببًا في توبة ألفين من الخوارج عن بدعتهم.

إن الحوار بين الناس في أمور دينهم ودنياهم من الأمور اللازمة لهم لزوم الطعام والشراب، وما يشبههما من ضرورات الحياة .

وقد نادت الفطرة السليمة بأهمية الحوار، حتى نادى بعضنا بضرورة الحوار مع (الآخر)، و(الحوار الإسلامي المسيحي)، والحوارات بين الإسلاميين والقوميين والليبراليين؛ **ولكن: أين حوار دعاة الإسلام مع بعضهم ببعض؛ فالتعددية في حكم الإسلام أمر واقع وملموس؛ ولكنها بدلاً من أن تكون مجالاً للخلاف والنزاع ينبغي أن تفتح الطريق أمام وحدة الهدف المشترك، فنجد الأئمة الأربعة وغيرهم الكثير لم يتعصبوا لآرائهم؛ بل كلهم من رسول الله ملتمس.**

إن الإسلام دين الحوار؛ فقد أرسى قواعده وقيَّد ضوابطه وبيَّن آدابه في نصوص عديدة من كتاب الله تعالى، تضمنت أروع البيان وأصول المناظرة وآداب المحاورة، وفي سنة نبينا محمد ﷺ القولية والعملية ما يعين المحاور، حيث دعا نبينا ﷺ إلى الله، وحاور وناظر فكان ﷺ خير أسوةٍ للمتحاورين.

إن أدب الحوار في الإسلام يتطلب تفهم المقابل ودوافعه وأهدافه، وإفساح المجال له لعرض وجهة نظره، كما أن المسلم ملتزم بأدب الخطاب بعيداً عن التهجم وتجريح الآخرين وإلقاء التهم دون بينة أو دليل، كما يجب عليه إعطاء محاوره فرصة عرض رأيه دون مقاطعة أو ضيق وتبرم، وأن يتحلى بالعدل والإنصاف والموضوعية، وضرورة

الانصياع للحق وقبول الحجة وعدم المماراة فيها، وألا يستهين بمن يحاورهم أو يستخف بعقولهم وآرائهم، وضرورة احترام الطرف الآخر والابتعاد عن التعصب.

يتراشقون ... ولكن بالزهور:

إن ديننا الإسلامي يحث على الوحدة والبعد عن الخلاف والاختلاف: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود:١١٨، ١١٩].

قد اختلف الصحابة ﷺ في بعض الأمور؛ لكنهم كانوا يتراشقون بالزهور، فقد ذكر أبو الليث السَّمَرقندي عن جرير أن عثمان بن عفان كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف– رضي الله عنهما– كلام، فقال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ: أَتَسُبُّني وقد شهدتُ بَدْراً ولم تَشهَد، وقد بايعتُ تحت الشجرة ولم تبايع، وقد كنتَ تولَّى مع من تَولَّى يوم الجَمْع، يعني يوم أحُد، فردَّ عليه عثمان، فقال: أما قولك : أنا شهدتُ بدرًا ولم تشهد، فإني لم أَغِب عن شيء شهده رسول الله ﷺ، إلا أنَّ بنت رسول الله ﷺ كانت مريضةً، وكنت معها أُمَرِّضها، فضرب لي رسول الله ﷺ سهمًا في سهام المسلمين، وأما بيعة الشّجرة فإن رسول الله ﷺ بعثني رَبيئَةً على المشركين بمكة– الرّبيئَةُ هو الناظر–، فضرب رسول الله ﷺ يمينه على شماله، فقال: (هذه لعثمان)، فيمين رسول الله ﷺ وشماله خير لي من يميني وشمالي، وأما يوم الجَمْع فقال الله تعالى: {وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ} فكنتُ فيمن عفا الله عنهم، فحجَّ عثمانُ عبدَ الرحمن[1].

عندما نقرأ هذا الحوار الجميل بين صحابيين جليلين من العشرة المبشرين بالجنة، فإننا نجد أن هذا الحوار لم يُفْسد للود قضية؛ لأن خلافهم ليس من أجل الدنيا، بل إنه يستهدف دائماً نصرة الحق، فكان أدبهما معًا سبيلًا إلى الحق في موضوع النقاش، وتبقى حاجة المسلمين في هذه الأيام متجددة إلى مثل هذا الحوار المبارك، والذي تواجه فيه الفكرةُ الفكرةَ، حيث يُسْفر هذا الحوار في النهاية عن انتصار الحق ووحدة الأمة الإسلامية.

(1) انظر: بحر العلوم- السمرقندي- ٣٣١/١.

لذلك أوجب الإسلام على العلماء والدعاة العمل على تعزيز ثقافة الحوار والتعايش والتسامح، من خلال خطاب إسلامي مضامينه نابعة من عقيدتنا الإسلامية السمحة المنبثقة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والمتمثلة بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وصفاء ورقّة القلوب ولين الأفئدة، فمن المعلوم أن رسولنا محمدًا ﷺ أرسى دعائم التسامح بين البشر؛ حيث دعا ﷺ إلى إشاعة جو التسامح والسلام بين المسلمين، وبينهم وبين غيرهم من الأمم، واعتبر ذلك من مكارم الأخلاق، فكان فيه تعامله مع المسلمين متسامحاً، حتى قال الله ﷻ فيه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، وكان مع غير المسلمين ينطلق من هذا المبدأ العظيم؛ ليكرس قاعدة التواصل والتعاون والتعارف بين الناس، ولتكون العلاقة الطيبة الأساس الذي تبنى عليه علاقات ومصالح الأمم والشعوب، وحتى مع أعدائه الذين ناصبوه العداء كان متسامحاً إلى حدِّ العفو عن أسراهم والإحسان إليهم، فالتسامح الذي عامل به الإسلام غيره، لم يُعْرف له نظير في العالم، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفيه في الاعتقاد كلّ أسباب البقاء والازدهار مثل ما صنع الإسلام، وفي أي مجتمع يضم أناساً مختلفي الدين، قد يثور نقاش بين هؤلاء وأولئك ، وهنا نرى تعاليم الإسلام صريحة في التزام الأدب والهدوء: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت:٤٦].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على معلِّم الناس الخيرَ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإنه من خلال الدراسة التي قمت بها حول دور العلماء في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش ظهرت أهم النتائج والتوصيات، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولًا: أهم النتائج

١. الاختلاف سنة كونية ومظهر للتنوع، وليس من ضرر في وجوده؛ لكنّ الضرر كله حينما تتسع مساحات الخلاف بين الناس وتنعدم لغة الحوار والتفاهم، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى جمع الكلمة ووحدة الصف والتعايش الوطني وتلاقي الإرادة.

٢. التعددية أمرٌ واقع وملموس؛ ولكنها بدلاً من أن تكون مجالاً للخلاف والنزاع، ينبغي أن تفتح الطريق أمام وحدة الهدف المشترك والجهود المشتركة من أجل الخير والمحبة والوئام؛ حيث أسَّس الإسلام منهجًا متكاملاً للتعايش بين الشعوب والحضارات المختلفة.

٣. الحوار قيمة حضارية وإنسانية، من الضروري أن يؤمن بها ويمارسها الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء، لتحقيق الاستفادة من إيجابيات الحوار المتعددة، وتزداد أهميته عندما تواجه الأمة ظروفاً معينة وأحوالاً خاصة تمسّ وحدتها وكيانها وتماسكها.

٤. إحياء فقه التآلف بين المسلمين بعيدًا عن الصراعات والنزاعات التي تنال من وحدة الأمة الإسلامية وتضعف قوتها، وضرورة مدّ جسور الثقة والتسامح بين أفراد المجتمع لتقوية الوحدة الوطنية، فالواجب علينا أن نكون أخوة متحابين، وأن نتعاون على البر والتقوى.

٥. تعزيز الدور الريادي للمؤسسات الإسلامية العريقة في نشر العلم والنور، والتي تمثل مركز الإشعاع ومناط الوسطية والمرجعية الرئيسة للعالم الإسلامي.

٦. الاهتمام بإعداد الدعاة وتأهيلهم؛ ليقوموا بواجباتهم تجاه دينهم وأمتهم، فلولا الدعوة لما انتشرت الرسالات السماوية، ولما ثبتت الأفكار في عقول الناس، فالدعوة حياة وأساس لكل أمر تُدعى إليه الأمم والشعوب.

٧. تعريف الأجيال الشابة بالإسلام وحقائقه، وتوفير الوسائل المعينة على فهم مقاصده ومبادئه، من خلال عقد ورش عمل شبابية وندوات حوارية بمشاركة المؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية؛ للتوعية بمضمون الخطاب الإسلامي الوسطي، فالشباب في كل أمة هم قلبها النابض، ودمها المتدفق، وبحر علمها الفياض، ومنهم سيخرج رجال الغد وعلماؤه وقادته.

٨. مواجهة الغلوّ الفكري والانحراف العَقَدِي بالحوار البنَّاء، الذي يُرَسِّخ خيريّة الأمة، ويذكِّر بوسطيّتها، وكذلك التحذير من التكفير والفرقة والخلافات التي تُمزِّق وحدة الأمة من دعوات مذهبية وطائفية مغرضة، تشتت الصفوف، وتضعف الوحدة داخل الوطن الواحد.

٩. التعاون الفعّال بين المؤسسات الإعلامية المختلفة والمؤسسات الدينية المختصة؛ لنشر مبادئ الوسطية والاعتدال في المجتمع، من خلال إعداد البرامج المختلفة، وتخصيص المساحات الكافية في وسائل الإعلام المختلفة؛ لعرض الخطاب الإسلامي الوسطي بكل صوره وأشكاله.

١٠. قضية فلسطين هي القضية المركزية للمسلمين جميعًا، ولا يمكن التفريط فيها، ونؤكد على مكانة المسجد الأقصى المبارك عند المسلمين بأنه جزء من عقيدتهم، ونطالب المجتمع الدولي بمنع سلطات الاحتلال الإسرائيلي من العبث به، ومنع المتطرفين اليهود من العدوان عليه وعلى المصلين فيه، وتوفير الضمانات لحمايته من مخططات هدمه وتقسيمه، وندعو الدول العربية والإسلامية لضرورة العمل على تنفيذ القرارات التي أصدرها قادة الأمة في مؤتمرات القمم العربية والإسلامية، وفي مقدمتها دعم المقدسيين في شتى المجالات الصحية والإسكانية والتعليمية والتجارية والإغاثية كي يبقوا مرابطين فوق أرضهم المباركة.

ثانيًا: أهم التوصيات

١. إن نجاح الحوار يحتاج إلى إخلاص النوايا وتضافر جهود الشرائح المجتمعية، وفي مقدمة هؤلاء العلماء والدعاة الذين هم مطالبون اليوم أكثر من أي وقت مضى بالقيام بدورهم الريادي، حيث تقع على كاهلهم مسؤولية التهيئة لحوار جاد وبناء، مستلهمين قيم الحوار وآدابه من القرآن والسنة.

٢. إن الأولويات التي تقع على عاتق العلماء والدعاة في وقتنا الحاضر تتمثل في ضرورة العمل على توطيد وحدة أبناء الأمة الإسلامية، وترسيخ مفاهيم الحوار والوفاق بين كل الفرقاء.

٣. إن العلماء مطالبون بخطاب لغته ومضامينه نابعة من عقيدتنا الإسلامية السمحة المنبثقة من القرآن والسنة، المتمثلة بالحكمة والموعظة الحسنة وصفاء ورقّة القلوب ولين الأفئدة.

فهرس المصادر والمراجع

١. **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٢. **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط:١، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٣. **تفسير القرآن العزيز**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ط:١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥. **ثقافة الحوار المفهوم والمصطلح**، فهد بن عبد الله البكران، صحيفة جريدة العرب الاقتصادية الدولية.

٦. **جامع البيان عن تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٧. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٨. **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر – بيروت، ط:١، ١٤١١ه.

٩. **خلق المسلم**، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط:١.

١٠. **ديوان ابن الرومي**، ابن الرومي علي بن العباس بن جريج.

١١. **ديوان الطغرائي**، مطبعة الجوائب قسطنطينية، سنة ١٣٠٠.

١٢. **رد المحتار على الدر المختار**، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، دار الفكر-بيروت، ط:٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٣. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١.

١٤. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٥. **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه- وماجه اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللَّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط:١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٦. **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

١٧. **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب

الدار السلفية ببومباي- الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: ١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

١٨. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط:١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٩. **العجاب في بيان الأسباب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي.

٢٠. **العلماء هم الدعاة**، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

٢١. **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٢. **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.

٢٣. **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط:٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٤. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط:١، ١٤١١ه- ١٩٩٠م.

٢٥. **المستصفى**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٢٦. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٢٧. **مسند الشاميين**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ١، ١٤٠٥ه- ١٩٨٤م.

٢٨. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٩. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار،** عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٣٠. **مشكاة المصابيح،** محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط:٣، ١٩٨٥م.

٣١. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،** أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.

٣٢. **معجم مقاييس اللغة،** أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٣. **موقع صيد الفوائد الإلكتروني،** كيف نختلف، سلمان بن فهد العودة.

٣٤. **النهاية في غريب الحديث والأثر،** مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

٣٥. **واقع المسلمين أمراض وعلاج،** د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع.